العرب
الجمعة 2019/07/26
السنة 42 العدد 11419

فاروق الفيشاوي يرحل تاركا خلفه لغطا سياسيا وإرثا فنياً متنوعا

فنان متمرد كانت تجربته الحياتية خارجة عن المألوف فأحبه الشباب

عاشق للتمثيل إلى آخر لحظة من حياته

أحمد جمال
صحافي مصري

حظيت الحالة الصحية للفنان الراحل فاروق الفيشاوي باهتمام واسع من الجمهور الذي تابع تطورات إصابته بسرطان العظم منذ أن أفصح عن ذلك بشكل علني أثناء تكريمه في افتتاح مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط العام الماضي، ما انعكس على مشهد رحيله الذي امتلأ برسائل الرثاء من الفنانين والمثقفين، بل والجمهور الذي راقب تحديه للمرض.

القاهرة - شيعت جنازة الممثل المصري فاروق الفيشاوي من مسجد مصطفى محمود في القاهرة الخميس، حيث وافته المنيّة عن عمر ناهز 67 عاما، متأثرا بغيبوبة كبدية دخل على إثرها أحد المستشفيات الخاصة قبل ثلاثة أيام من رحيله، تاركا خلفه إرثا فنيا حافلا بالأعمال المتنوعة، في السينما والمسرح والتلفزيون، منذ أن احترف التمثيل في منتصف السبعينات من القرن الماضي.

ونعى عدد كبير من الفنانين رحيل الفيشاوي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، منهم صلاح عبدالله وأحمد السقا ومحمد عادل إمام وعمرو عبدالجليل ورانيا يوسف وإلهام شاهين وفيفي عبده ودنيا سمير غانم وإيمان العاصي.

عشق التمثيل

نشر الفنان عادل إمام على صفحته الرسمية على "فيسبوك" صورة جمعته بالنجم الراحل، مع تعليق "البقاء لله في وفاة الفنان الكبير فاروق الفيشاوي"، فيما نعت نقابة المهن التمثيلية الفنان الراحل في بيان قالت فيه إنه "كان رمزا من رموز الفن المصري.. وسيظل".

وقالت الفنانة المصرية إلهام شاهين في تصريح لـ"العرب" "كان حريصا على أن يظهر قوته في مواجهة المرض، ورفض فكرة الاستسلام له حتى قبل وفاته بأيام قليلة، كما أن حبه للفن دفعه للاستمرار في تقديم الأعمال بما فيها المسرحية التي تتطلب مجهودا كبيرا".

وشارك الفيشاوي في بطولة مسرحية "الملك لير" مع الفنان يحيى الفخراني، التي جرى عرضها بالقاهرة في شهر مارس الماضي، قبل أن تجبره حالته الصحية على عدم السفر مع طاقم المسرحية إلى السعودية للمشاركة في عرضها بمدينة جدة منتصف الشهر الجاري.

وكان من المقرر أن يبدأ تصوير مشروع أحد الأفلام التي اتفق على بطولتها مع المخرج عمر عبدالعزيز ويحمل اسم "شاي بالقرنفل"، عن قصة الروائي إبراهيم عبدالمجيد، غير أن طاقم العمل أجل التصوير أكثر من مرة إلى حين استقرار أوضاعه الصحية.

> بعكس النجوم الذين تركزت أعمالهم على الأوضاع الاجتماعية كان فاروق الفيشاوي أكثر ارتباطا بفئات الشباب

وأضافت شاهين لـ"العرب" "كان الفيشاوي يستطيع أن يقدم الأفضل خلال مشواره الفني، لما يمتلكه من موهبة فنية ومدرسة يتعلم منها العديد من الأجيال، وانضباطه في أثناء عملية التصوير وإعداده الجيد للشخصية منحاه دوما تفوقا عمن يتواجدون معه في العمل، وهو ما ساعدها شخصيا على التناغم معه خلال المشاهد المشتركة بينهما في العديد من الأعمال التي كان آخرها فيلم (يوم للستات)، وحصدا بسببه الكثير من الجوائز المحلية والدولية".

وأكدت الفنانة نبيلة عبيد أن الفيشاوي عشق التمثيل كهواية، وليس كعمل مفروض عليه، وهو ما انعكس على تعامله بتلقائية مع جميع أفرد العمل، بل كان يسعى لأن تكون هناك مساحات أكبر للشباب، وتعاونت معه في أعمال فنية عديدة، منها "ديك البرابر" الذي أبدع من خلاله في تجسيد شخصية المعاق ذهنيا، وحرص على تقديمها بأفضل شكل مما جعلنا نعيد تصوير المشاهد أكثر من مرة.

وأشارت في تصريح خاص لـ"العرب" إلى أنه حاول التغلب على المرض كثيرا وامتلك إرادة فولاذية وعزيمة وإصرارا على الشفاء، وعدم المبالاة بالمرض الخبيث، واستئنافا لحياته بشكل طبيعي، حتى خاض تجربته المسرحية "الملك لير" كي لا يشعر بأنه ابتعد عن جمهوره.

وحرص الفيشاوي خلال مشواره الفني على أن تكون حياته الشخصية ممتلئة بالدراما وحاضرة وبقوة بين جمهوره، فخلال توهجه الفني في منتصف الثمانينات اختار أن يفصح عن تجربته مع المخدرات، وصارح الجمهور بتفاصيل رحلته مع الإدمان وطريقة الشفاء عبر حوار صحافي أجراه في ذلك التوقيت معه الكاتب صلاح منتصر ونشر في مجلة "أكتوبر" الحكومية، وجاء بعنوان "كنت عبدا للهروين".

كما أن تجارب زيجاته المختلفة، ومن أشهرها من الفنانة سمية الألفي وأنجب منها نجله الممثل المعروف أحمد الفيشاوي، وانتهى زواجهما بالانفصال منذ نحو عقدين، وعلاقاته النسائية المتعددة كانت حاضرة في لقاءاته الإعلامية، وانجذب الجمهور إلى مواقفه الصادمة التي رأى فيها مثلا أن "الرجل المخلص خيال علمي، ويجب على النساء أن يقتنعن بأن امرأة واحدة لا تكفي".

دخول ابنه أحمد مجال الفن ووقوعه في مشكلات عدة أبرزها قضية إثبات نسب الطفلة لينا حفيدته، شغلا حيزا كبيرا من الرأي العام المصري مطلع الألفية الجديدة، وعبر الفيشاوي كثيرا عن ندمه بسبب موقفه الذي نفى فيه علاقة "الفيشاوي الصغير" بالطفلة، وقال في أحد تصريحاته "أشعر بالأسى تجاه كل ما حدث بيننا وبين لينا، فحص الـ DNA أثبت أن لينا ابنة أحمد، لكننا أجبرنا في البداية على أن نسلك طريقا كنا غير راضين عنه".

وفي جميع الأزمات التي مر بها كانت الصراحة والوضوح من السمات الأساسية التي تسود في النهاية، وقد يكون ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى دخوله في مشكلات وصراعات كان من الممكن أن يتجنبها، داخل الوسط الفني أو خارجه.

غير أن مقربين منه أكدوا على أن زهده في الحياة وتحوله من شخص فقير كان يعمل كومبارس في المسرح إلى فنان كبير له أعطاه المزيد من شجاعة المواجهة.

وسط خارطة الفن

ولد الفنان الراحل في إحدى قرى مركز سرس الليان بمحافظة المنوفية في شمال القاهرة، والتحق بكلية الآداب جامعة عين شمس، غير أن حبه للفن دفعه لدراسة المسرح بالمعهد العالي للفنون المسرحية، بعد حصوله على درجة الليسانس.

قدم الفيشاوي 230 عملا متنوعا على مدار تاريخه الفني، ولمع في مسلسل (أبنائي الأعزاء.. شكرا) مع الممثل القدير عبدالمنعم مدبولي والمخرج محمد فاضل بداية الثمانينات وكان بمثابة انطلاقته الفنية ليشارك في جملة من الأعمال الدرامية الهامة منها "ليلة القبض على فاطمة" و"على الزيبق" و"زينات والثلاث بنات" و"ألف ليلة وليلة" و"دموع صاحبة الجلالة".

ومن أبرز أعماله السينمائية "الحب في طريق مسدود" و"الباطنية" و"المشبوه" و"أرجوك أعطني هذا الدواء" و"لا تسألني من أنا" و"القرداتي" و"الجاسوسة حكمت فهمي"، بالإضافة إلى عدد من المسرحيات الناجحة منها "البرنسيسة" و"أعقل يا دكتور" و"الأيدي الناعمة" و"الناس اللي في التالت" و"شباب امرأة"، و"مسيلمة الكذاب" و"بداية ونهاية"، وأخيرا "الملك لير".

وأكدت الناقدة الفنية خيرية البشلاوي في تصريح لـ"العرب"، أن الفيشاوي من العناصر البارزة في خارطة الفن المصري، واستطاع أن يلقي الضوء بأعماله على جملة من الأزمات الاجتماعية والسياسية والأمنية خلال الثلاثة عقود الماضية، وأن تكوينه الجسماني والشكلي مكناه من تأدية جميع الأدوار وعدم حصره في منطقة محددة.

وأضافت أنه ظهر في فترة تعد الأكثر تألقا لعدد كبير من النجوم الذين سبقوه، وعلى رأسهم فريد شوقي وعادل إمام ومحمود ياسين ومحمود عبدالعزيز، غير أنه استطاع أن يحجز لنفسه مكانا من خلال شباك التذاكر وعبر متابعة أعماله الدرامية والمسرحية، ونجح في أن تكون له شخصيته الإنسانية والفنية التي تميزه عن غيره.

وبعكس النجوم الذين تركزت أعمالهم على الأوضاع الاجتماعية والغوص فيها كان الفيشاوي أكثر ارتباطا بفئات الشباب الذين انجذبوا إليه بفعل إفصاحه عن تجاربه الحياتية الغريبة عن الكثير منهم، واقتحامه نقاطا لم يكن الاقتراب منها مسموحا، بعد أن تحدث عن تفاصيل علاقاته الغرامية مع النساء، وظهوره في صورة البطل الذي استطاع أن ينتصر على الإدمان.

ولم يكن الفيشاوي نموذجا مقربا من الشباب من أبناء جيله فقط، بل إن مواقفه السياسية المؤيدة لثورة 25 يناير 2011، وحضوره التظاهرات في ميدان التحرير بوسط القاهرة، وإعلانه صراحة عن مواقفه المعارضة من نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك، دفعت العديد من شباب هذا الجيل للاقتراب منه، واستطاع أن يصحح الصور المشوشة التي أخذت عنه.

وفي تجربة السرطان الأخيرة حاول أن يغير أفكار الشباب والمجتمع بشأن النظرة السلبية للمريض الذي يخترقه المرض الخبيث، وأكد أن مواجهته للمرض ستكون مثلما يواجه "نزلة برد"، غير أن تجربته الدرامية مع السرطان لم تدم طويلا.

أسطورة ثأر دولة من الفنان محمد فوزي

في كتابه "محمد فوزي.. الوثائق الخاصة" يحمّل المؤرخ والناقد السينمائي أشرف غريب جمال عبدالناصر تبعات الأزمة التي تعرض لها الفنان المصري محمد فوزي، وكأننا بصدد ثأر دولة من فنان، وهو ما يناقشه هذا المقال من زوايا أخرى، في رد على مقال نشر في "العرب" بتاريخ 12 يوليو 2019 حول الكتاب.

سعد القرش
روائي مصري

من الدولة إلى المواطن جرى ابتذال مصطلح «الثأر» وتخفيف حمولاته، ونقل مجال فاعليته من تقاليد العشائر إلى إجراء ينسب إلى دولة بحجم مصر تُتهم بالثأر من مواطن تصادف أنه الفنان، خفيف الظل متعدد المواهب، محمد فوزي. ولم يكن للأساطير أن تختلط بنثارات من بقايا المعلومات، لولا الهبوط بمستوى ما يتصور أصحابه أنه "تأريخ".. من التقصي الأمين للحقائق إلى توثيق الشائعات.

أولى قواعد مناهج البحث التي تعلمناها في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، وأوْلى بها العمل الذي يزعم الانتماء إلى التأريخ، ألا يضع الباحث افتراضا محددا، أقرب إلى اليقين، ويسعى إلى تلفيق أو توفيق ما يلزم من أدلة لتاكيده، وإنما يدخل إلى بحثه بذهن خال غير مشغول إلا بجمع الأدلة والقرائن، ورصد الشهادات، وإجراء مقارنات لحالات مماثلة في السياق التاريخي نفسه، لكي ينتهي إلى نتيجة تظل موضع شكوك باحث آخر، إلى أن يطمئن باحث موضوعي بعد جيل أو أجيال إلى حكم على الواقعة. فهل يستقيم وضع "ثأر"، أو "انتقام"، مصر من محمد فوزي في جملة مفيدة؟

الحقيقة التاريخية هي تاميم الدولة المصرية عام 1961 لشركة مصرفون التي يملكها محمد فوزي. وأما السياق فهو تأميم مصر للشركات والبنوك ضمن توجّه اشتراكي يستهدف توسيع قاعدة المِلكية للشعب.

ويعلم المؤرخون المصريون، لا المستشرقون من مصريين وغير مصريين، طبيعة التفاوت الصارخ بين الطبقات آنذاك، ولا أبالغ بالقول إن في مصر، من بقايا العهد الملكي، عبيدا أو مواطنين أشبه بالعبيد. ففي بعض القرى كان الإقطاعي يمتطي حصانه في طقس عبودي، بوضع قدمه على ظهر فلاح. بل إن أعداء جمال عبدالناصر لا ينكرون تلك الأوضاع، فيذكر عبدالمنعم أبوالفتوح في سيرته أن قريته، واسمها قصر بغداد بمحافظة الغربية، كان بها إقطاعي اسمه أبوالفتوح فودة، من «الذين يثيرون الرعب في قلوب الفلاحين، وأنه كان يركب الحنطور ويسير في القرية فلا يجرؤ أحد على الظهور حتى يمر موكبه». وكانت مشاهد الخواجات من ملاك الشركات والإقطاعيات أشد قسوة. وانتهى الأمر بالتأميم، وكان نحو 200 أسرة يهودية تحمل جنسيات أجنبية تمتلك حوالي 500 مليون جنيه، وهو بحساب هذه الأيام رقم تريليوني.

يمكن لمؤرخ أو خبير اقتصادي، الآن أو بعد مئة عام، أن يقول إن قرارات التأميم كانت صائبة أو خاطئة، وخصوصا الشركات الصغيرة التي كانت أسهم الشخص الواحد فيها تزيد على عشرة آلاف جنيه، ومنها شركة مصرفون لمحمد فوزي.

ولكن الادعاء بأن تأميم الشركة كان انتقاما من محمد فوزي؛ بسبب ميله إلى محمد نجيب، استخفاف بالعقول. فلم تنتقم ثورة يوليو 1952 من أعمدة النظام الملكي في الفنون وغيرها ما لم تثبت تهمة واضحة على صاحبها. كان صلاح الشاهد كبير اليوران في عهد الملك فاروق، وبقي في منصبه في عهد عبدالناصر، كما كان الممثل الكبير سليمان نجيب مديرا لدار الأوبرا الملكية، وأول فنان مصري ينال لقب «بك» من الملك، واحتفظ بتألقه في العهد الجمهوري، وخلال ثلاث سنوات شارك في 19 فيلما، من عام 1952 إلى وفاته في يناير 1955، ولم يؤثر منصبه السابق على عمله في مهنة تعتمد على العرض والطلب الجماهيري. وفي ما يشبه النبوءة قام سليمان نجيب بزيارة عبدالناصر، ودعاه إلى مشاهدة مسرحيته «المشكلة الكبرى». قال لي محفوظ عبدالرحمن إن سليمان ترجى عبدالناصر أن يحضر عرض المسرحية «الليلة، لأني سأموت غدا»، ومات في الغد. ويروي صلاح الشاهد كبير الأمناء في رئاسة الجمهورية أن الرئيس أنابه في تشييع جنازة سليمان.

من الأمثلة الأخرى إسماعيل ياسين الذي غنى، عام 1953 في فيلم «اللص الشريف»، مونولوج «20 مليون وزيادة»، وهو عدد مواطني مصر آنذاك، وذكر في الأغنية اسم محمد نجيب صراحة. واستمر صعوده، فالدولة أكبر من الثأر والانتقام من شخص ذي «ميول» سابقة إلى رئيس شرفيّ تم تحديد إقامته.

> الدولة المصرية أكبر من الثأر والانتقام من شخص الفنان محمد فوزي ومن المغالطة التسليم بهذا الرأي

محمد فوزي هو المطرب الأكثر موهبة في تاريخ السينما المصرية إلى اليوم، ونصيب عبدالحليم من موهبة التمثيل محدود، ولكن الجمهور اختاره، فاعتمد صناع السينما على دعمه بمواهب كبيرة في أدوار مساعدة. وبصعود عبدالحليم تراجع الرصيد الجماهيري لكل المطربين، ولم يهدده مؤقتا إلا ظهور محرم فؤاد. وربما لهذا السبب، وبحكم الغيرة لم يلحن فوزي أغنية لعبدالحليم الذي قام عام 1955 ببطولة أربعة أفلام، وقدم عام 1956 فيلمين، وفي عام 1957 ثلاثة أفلام، قبل أن يفتتح محمد فوزي شركته. وبعد أن قام فوزي ببطولة خمسة أفلام عام 1950، تراجع الطلب وقدم عام 1955 فيلما واحدا هو «ثورة المدينة»، وفي عام 1956 فيلم «معجزة السماء». هكذا كتبت رغبات جمهور السينما بداية النهاية لكثير من المطربين، بدليل بطولة فريد الأطرش لثلاثة أفلام عام 1952، ومن عام 1957 إلى عام 1961 اقتصر على فيلم واحد، وعام 1960 لم يقدم فيه شيئا.

أممت شركة مصرفون، لحساب الشعب لا لعبدالناصر، ولعل القرار غير صائب، ولكنه لم يستهدف النيل من فوزي وحده لا شريك له.

لو كان لعبدالناصر أن ينتقم لاستهدف صلاح عبدالصبور، بسبب قصيدته الجارحة «عودة ذي الوجه الكئيب» عام 1954. ولكن أحدا لم يمسّه بسوء، ولم يمدح الزعيم حيا، وفي ديوانه «تأملات في زمن جريح» نشر قصيدة «الحلم والأغنية.. مرثية لعبدالناصر»، ذلك الذي دفن عام 1970، ويأبى أن يموت.

محمد فوزي لم يتعرض للثأر